Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان مبنى المسجد والحجرات بسيطا متواضعاً ، بعضه من حجارة مرصوصة ، وبعضه من جريد يُمسكه الطين ، والسقف كله من جريد .

وشُدَّت خشبات بالليف ، فكانت سريراً لمن اصطفاه الله خاتماً للنبيين عليه السلام .

وغيرَ بعيد من المدينة والحجاز ، كانت قصور الحكام والأمراء والأغنياء ، فى الحيرة وغسان واليمن ، وفى مصر والحبشة وفارس ، تعلو سامقة شامخة . ساطعة بأضواء البذخ والترف ، فتخطف أبصار الدنيا عن ذلك المبنى البسيط المتواضع الذى لم يلبث سنا نوره أن كسف ضوء كل ما عرفت الدنيا من قصور لكسرى وقيصر وفرعون ، وإمبراطور ونجاشى وملك .

وفى الأحياء اليهودية الناشبة فى يثرب ، وفى مستعمراتهم بشمال الحجاز ، دورٌ مشيدة وحصون منيعة ، تطل على المبنى البسيط المتواضع لنبى الإسلام ، فيبدو لها فقيراً أشد الفقر . ويلتقط أهلها ما يتلو الأميون من آيات القرآن فى الحث على الإنفاق فى سبيل الله ، برًّا وتراحما وتكافلا . فتذيع القالة اليهودية الفاحشة : « إن الله فقيرٌ ونحنُ أغنياء » :

وتمضى الأعوام والقرون ، توسع من رحاب المسجد وتسخو فى العناية به والبذل له ، وهو هو ، بروح عراقته وجوهر شخصيته .

* * *

ليلتنا الأولى بدار الضيافة فى جوار الحرم النبوى ، كانت مع التاريخ إذ يروى حديث هذه المدينة التى فُتِحت بالقرآن من قبل الهجرة ، ففتحت قلبها وبيوتها لهجرة الإسلام . وقد كانت إلى ماض قريب ، تبدو بعيدة عن مسرح الأحداث ، وإن لم تصرف سمعها عن الصراع الدائر فى مكة بين الوثنية والإسلام ، وهو يدنو من ذروة تعقُّده مؤذناً بوشكِ تحولٍ فى مُتَّجَه الأحداث .

قبل الهجرة بسنتين ، أهلّ موسم الحج وخرج المصطفى كدأبه فى كل موسم ، يعرض الإسلام على وفود القبائل العربية ، وقومُه أشد ما كانوا عليه من خلافه ورفض دينه ، إلا قليلا ممن آمن به .

وبدت الجولة فى أولها ، مدعاةً إلى يأس وقنوط :

سعى إلى « منى » حيث مجتمع الحاج ، فوقف على الحشود هناك داعياً ومبشراً ونذيراً ، فتصدّى له عمه أبو لهب ، يكذّبه ويصدّ الناس عنه .

وانتظر ﷺ حتى انصرفت القبائل من مِنى إلى منازلها فى مكة ، فأتى كندةَ فدعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه .